

تفسير ابن كثير

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا^١ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَامِلُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

يقول تعالى : (إن الذين يكتمون) [مما يشهد له بالرسالة] (ما أنزل الله من الكتاب)

يعني اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم التي بأيديهم ، مما تشهد له بالرسالة والنبوة ، فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم إياهم ، فخشوا لعنهم الله إن أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتركوهم ، فكتموا ذلك إبقاء على ما كان يحصل لهم من ذلك ، وهو نزر يسير ، فباعوا أنفسهم بذلك ، واعتاضوا عن الهدى واتباع الحق وتصديق الرسول والإيمان بما جاء عن الله بذلك النزر اليسير ، فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة ؛ أما في الدنيا فإن الله أظهر لعباده صدق رسوله ، بما نصبه وجعله معه من الآيات الظاهرات والدلائل القاطعات ، فصدقه الذين كانوا يخافون أن يتبعوه ، وصاروا عوناً له على قتالهم ، وبأوا بغضب على غضب ، وذمهم الله في كتابه في غير موضع . من ذلك هذه الآية الكريمة : (إن الذين

يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا) وهو عرض الحياة الدنيا (أولئك
ما يأكلون في بطونهم إلا النار) أي : إنما يأكلون ما يأكلونه في مقابلة كتمان الحق نارا
تأجج في بطونهم يوم القيامة . كما قال تعالى : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما
يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) [النساء : 10] وفي الحديث الصحيح عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة ،
إنما يجر جر في بطنه نار جهنم " . وقوله : (ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم
عذاب أليم) وذلك لأنه غضبان عليهم ، لأنهم كتموا وقد علموا ، فاستحقوا الغضب ،
فلا ينظر إليهم ولا يزيكهم ، أي يثني عليهم ويمدحهم بل يعذبهم عذابا أليما . وقد ذكر
ابن أبي حاتم وابن مردويه هاهنا [الحديث الذي رواه مسلم أيضا من] حديث الأعمش ،
عن أبي حازم ، عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ثلاثة لا يكلمهم
الله ، ولا ينظر إليهم ولا يزيكهم [ولهم عذاب أليم] شيخ زان ، ومملك كذاب ، وعائل
مستكبر " .